قال الإمام مالك ـ رحمه الله تعالى ـ:

كتاب وُقُوت الصّلاة

قال ـ رحمه الله ـ:

باب وُقُوت الصلاة

قوله ـ رحمه الله ـ: كتاب الصّلاة.

الصلاة هي العبادة المعروفة، وقد حدّها ابن عرفة ـ رحمه الله ـ بقوله: (**قربة فعلية ذات إحرام وسلام، أو سجودٌ فقط**).

قوله: (**قربة**[1] **فعلية**[2] **ذات إحرام وإسلام**[3]) هي التي صلّينا.

(**أو سجودٌ فقط**): هذا يذكره ابن عرفة ـ رحمه الله ـ ليُدخِل في تعريفه سجود التلاوة.

فيرى ابن عرفة ـ رحمه الله ـ أن سجود التلاوة صلاة، فيُشتَرط له ما يُشتَرط للصلاة من استقبال القبلة والطهارة، لذلك قال: (**أو سجودٌ فقط**[4]) ليَدخُل في التعريف سجود التلاوة[5].

والصلاة تأتي في لغة العرب على معانٍ:

تأتي بمعنى الدعاء:

1 ـ قوله: "قربة" جنس، ولما كانت الصلاة حركات وسكنات وأفعالا قصد بها التقرب إلى الله تعالى أتى بها يناسب المقولة. شرح حدود ابن عرفة، لأبي عبد الله محمد الأنصاري الرصّاع ص 107

2 ـ قوله: "فعلية" احتراز من من العدمية كالصيام في حده الأول أو حبس النفس عن المعصية، فإنها قربة ليست فعلية، ويدخل فيه حج البيت، والصدقة لله تعالى، وغير ذلك كإماطة الأذى وزيارة المرضى. نفس المرجع.

3 ـ قوله: "ذات إحْرام وسلام" أي لازم لها إحرام وسلام، ويخرج بذلك ما ذكرنا وسائر القربات الفعلية. نفس المرجع.

4 ـ قوله: "فقط" كلمة تُذكرُ للانتهاء عن الزيادة، وهي اسم فعل، أي انتهِ عن الزيادة على لفظ السجود واقتصرْ عليه. نفس المرجع

5 ـ كما أنه تدخل صلاة الجنازة بذكر الإحرام والسلام. نفس المرجع.

ومن ذلك قول ربنا ـ سبحانه ـ: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ} و{إِنَّ صَلَوَاتِكَ سَكَنٌ لَّهُمْ}[6] قراءتان. أي: وادع لهم.

وتأتي الصلاة بمعنى الدين:

ومنه قول الله ـ تعالى ـ حكاية على لسان قوم شعيب: {قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلَوَاتُكَ} ـ كما هي قراءتنا، وفي قراءة حفص والأخوين: {أَصَلَوَاتُكَ} ـ {تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا}[7]. أي: أدينك يأمرك؟

وتأتي الصلاة بمعنى البركة: كما في قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**اللّهمّ صلّ على آل أبي أوفى**»[8]، أي: بارك عليهم.

وتطلق الصلاة على غير ذلك من المعاني أيضا.

الوُقوت: الوُقوت جمع وَقْت. وقْت يُجمع على أوقات. ويُجمع على وُقوت أيضا.

لكن، الفرقُ بين وقت وأوقات: أنّ وقْت هذا الوزن فعْل في جموع التكسير جمع كثرة، وأوقات في جموع التكسير أفعال. جمع قلّة.

6 ـ سورة التوبة، من الآية: 103

7 ـ سورة هود، من الآية: 87

8 ـ رواه البخاري 3 / 286 في الزكاة، باب صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة، وفي المغازي، باب غزوة الحديبية، وفي الدعوات، باب قول الله تعالى: {وصلّ عليهم} ، وباب هل يصلى على غير النبي صلى الله عليه وسلم، ومسلم رقم (1078) في الزكاة، باب الدعاء لمن أتى بصدقته، وأبو داود رقم (1590) في الزكاة، باب دعاء المصدق لأهل الصدقة، والنسائي 5 / 31 في الزكاة، باب صلاة الإمام على صاحب الصدقة. جامع الأصول (4/ 651)

جموع القلّة في جموع التكسير أربعة، جمعها ابن مالك ـ رحمه الله ـ في ألفيته بقوله:

أفعِلَـــة أفْعُـــلُ ثـــمّ فِعْلـــهْ
ثُمَّـــتَ أفعـــالٌ جَـــمعُ قِلّـــهْ

أفعِلة: كأسلِحة.

وأفعُل: كأضْرُب، وأبْحُر.

وفِعْلة: كفِتْيَة.

وأفعال: كأفراس.

هذه الأوزان الأربعة هي جموع القلة.

جموع القلة تطلق في اللغة العربية إذا كان الموصوف بها أو المعدود بها من اثنين إلى عشرة.

إذا كان الذي تريد وصفه أو الذي تريد جمعه، يعني فوق الإثنين ودون العشرة، هذا قليل، فيُجمَع وزن قلّة، يُجمَع جمع قلّة.

فإذا جاوز العشرة كان كثيرا، فيُجمَع على جمع الكثرة.

يقول الإمام مالك ـ رحمه الله ـ: **(باب وُقُوت الصلاة)**.

وُقُوت: فُعول، جمع كثرة، والأوقات قليلة، الأوقات خمسة، فلماذا يُعبِّر، يُستعمَل جمع الكثرة للقلّة؟

قال بعضهم: كان الأنسب أن يقول مالك ـ رحمه الله ـ: باب أوقات الصلاة، لأن أفعال، جمعُ قلّة، والصلوات خمس.

وقد أجيب عن هذا جوابين:

الجواب الأول: أن من عادة العرب في كلامها أن تستعمل لنُكت بلاغية، أن تستعمل جمع القلة في موضع جمع الكثرة، وأن تستعمل جمع الكثرة في موضع جمع القلة.

العرب ـ مثلا ـ تقول: ثلاثة كِلاب ـ أكرمكم الله ـ، فِعال، هذا جمع كثرة، تقول: ثلاثة كِلاب، والقياس أن يقال: ثلاثة أكْلُب، لأن أفْعُل هو جمع القلة. وهيَ تقول: ثلاثة، لكنهم قالوا: ثلاثة كلاب.

فاستعملوا في موضع جمع القلّة جمع الكثرة لنُكت ليس هذا موضعَ ذكرها.

وقال ربنا ـ سبحانه ـ: {وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَـٰتِ ءَامِنُونَ}[1]، الغرفات: جمع غُرفة، والغرفات هذا جمع سلامة، وجمع السّلامة من جموع القلّة، والغرفات لا حصر لها في الجنة، فاستعمل ربنا جمع قلّة في موضع الكثرة لنُكت أيضا ليس هذا موضعَ ذكرها.

فيمكن أيضا أن يُفسّر قول مالك، يُحمل على هذا المَحمَل فيقال: استعمل جمع الكثرة في موضع جمع القلة، وهذا مَهْيع عربي مسلوك.

الجواب الثاني: أن الصلوات خمس، لكنها بتكرّرها كل يوم تصير كثيرة[2].

1 ـ سورة سبأ، من الآية: 37

2 ـ قال الباجي: "جمع وقت كضرب وضروب وفلس وفلوس ووجه ووجوه فوقت فوقت الصلاة يتسع لتكرار فعلها مرارا وجميعه وقت لجواز فعلها". المنتقى شرح الموطإ (1/ 3)

وقال ابن العربي في القبس: "فإنه أدخل تحت الترجمة ثلاثة عشر وقتا، كل وقت منها ينفرد عن صاحبه بحكم وبغيره من وجه". موسوعة شروح الموطأ 1/ 6

ولذلك تقول العرب: شموس وأقمار، والعرب لا تعرف إلا شمسا واحدة وقمرا واحدا، لكن تلك الشمس كل يوم تطلع، وذلك القمر كل يوم يطلع، فجمعوا لذلك وقالوا: شموس، وقالوا: أقمار[1].

هذا قوله: **(كتاب وقوت الصلاة).**

العلماء لهم مناح في تصنيفهم:

منهم من يبدأ بكتاب الطهارة وأبواب الطهارة، يعني المياه، والأعيان النجسة والأعيان الطاهرة، إلى آخره...

وهذا يسلكه كثير من الفقهاء الذين يضعون في الحديث أو من المحدّثين الذين يكتبون كتبا للاستدلال بها في الفقه.

ومنهم من يبدأ بمسائل الإيمان والاعتقاديات، كما صنع البخاري في صحيحه، بدأ بـ(كتاب بدْء الوحي).

الإمام مالك ـ رحمه الله ـ بدأ بكتاب وقوت الصلاة[2].

قالوا: هذا أنسب من أن يبدأ بكتاب الطهارة.

لماذا؟

لأن الذين يبدأون بالكلام على الطهارة يقولون: شيء معقول، شيء منطقي أن يُبدَأ بالكلام على الطهارة قبل الكلام على الصلاة، لأن الطهارة آلة الصلاة، فيجب أن تُعرَف أحكام الطهارة وأحكام المياه والوضوء والغسل، إلى آخره، ثم بعد ذلك يُتحدَّث عن أحكام الصلاة.

لكن، قال الإمام مالك: متى يحتاج المكلف أن يقوم إلى الوضوء؟ بعد أن يدخل وقت الصلاة.

ولذلك قدّم الكلام على وقوت الصلاة، لأنه قبل ذلك ليس مخاطبا بطهارة ولا بصلاة.

فلذلك قدّم الكلام على وقوت الصلاة لأنه حينئذ يكون مطالبا، فحسُن هذا التقديم منه ـ رحمه الله ـ[3].

نعم.

قال ـ رحمه الله ـ: **(باب وقوت الصلاة).**

(الباب هو. يقولون: هو فرجة)

الباب هو المجاز. شيء يُجاز منه من جهة إلى جهة.

لكن هم يُعرّفونه. جرت العادة عند أهل العلم أن يُعرّفوا كل ما يدور عليه الكلام في كتب أهل العلم، قد يستغرب بعضهم. يقول: لماذا يُحتاج إلى تعريف الباب؟ الباب معروف.

عرِّفه إذن.

تجده أنّك تعرّفه تعاريف يكون عليك فيها الإيرادات.

---

1 ـ قال الزرقاني: وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ بُكَيْرٍ، أَوْقَاتٌ: جَمْعُ قِلَّةٍ وَهُوَ أَظْهَرُ لِكَوْنِهَا خَمْسَةً، لَكِنْ لَكِنْ وَجْهُ رِوَايَةِ الْأَكْثَرِينَ " وُقُوتٌ " جَمْعُ كَثْرَةٍ أَنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ خَمْسَةً لَكِنْ لِتَكَرُّرِهَا كُلَّ يَوْمٍ صَارَتْ كَأَنَّهَا كَثِيرَةٌ، كَقَوْلِهِمْ: شُمُوسٌ وَأَقْمَارٌ بِاعْتِبَارِ تَرَدُّدِهِمَا مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، وَلِأَنَّ الصَّلَوَاتِ فُرِضَتْ خَمْسِينَ وَثَوَابُهَا كَثَوَابِ الْخَمْسِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي حَدِيثِ الْمِعْرَاجِ: «هُنَّ خَمْسٌ وَهُنَّ خَمْسُونَ»، وَلِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْجَمْعَيْنِ قَدْ يَقُومُ مَقَامَ الْآخَرِ تَوَسُّعًا، أَوْ لِأَنَّهُمَا يَشْتَرِكَانِ فِي الْمَبْدَأِ مِنْ ثَلَاثَةٍ وَيَفْتَرِقَانِ فِي الْغَايَةِ عَلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ، أَوْ لِأَنَّ لِكُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثَةَ أَوْقَاتٍ: اخْتِيَارِيٌّ وَضَرُورِيٌّ وَقَضَاءٌ. شرح الزرقاني على الموطأ (1/ 68)

2 ـ اختلفت مقاصد المؤلفين على ستة أنحاء:

فمنهم من بدأ بالوحي: وهو البخاري، فقال: باب بدء الوحي.

ومنهم من بدأ بالإيمان: وهو مسلم، فقال: كتاب الأيمان.

ومنهم من بدأ بالاستنجاء: وهو أبو داود، فقال: كتاب الطهارة.

ومنهم من بدأ بالوضوء: وهو التِّرمذي فقال: باب ما جاء في فضل الطهور.

ومنهم من بدأ بالصلاة، ومنهم من بدأ بالوقوت: وهو مالك،

قال ابن العربي في القبس: وهو أسعدهم في الإصابة، لأن الوحي والإيمان علم عظيم منفرد بنفسه، فإن ذكر منه قليلًا لم يغنه عن المقصود، وإن ذكر كثيراً صرف عما تصدى له. انظر: القبس في شرح موطأ مالك بن أنس (ص: 75)

3 ـ قال ابن العربي في القبس: "قال محققو علمائنا ـ رحمة الله عليهم ـ: إنه ليس في الشريعة نفل يجزئ عن فرض إلا الوضوء قبل الوقت". موسوعة شروح الموطأ 1/ 5.

فلذلك قالوا: الباب: فُرجة في ساتر يُتوصّل بها، يُتوصّل بالفرجة، يعني: من داخل إلى خارج ومن خارج إلى داخل.

هذا تعريف الباب.

وبعضهم يُلغِزُ في الباب يقول:

فـــــما شيء حقيقتــــــه مجـــــاز
وأوّلـــــــه وآخـــــره ســـــــواء
ثُلاثـــــيٌّ وفيـــــه حـــرف مـــــدٍّ
لــــه الإعـــــراب حقّـــــا والبنـــــاء

(فما شيء حقيقته مجاز) كيف هذا؟

حقيقة الباب مجاز يُجاز منه.

(وأوّله وآخره سواء): الباب.

(ثلاثيٌّ وفيه حرف مدٍّ) الألف.

(له الإعراب حقًّا) الباب معرب وليس ممنوعا من الصرف.

(له الإعراب حقًّا والبناء) لأنه يُبْنى في الجدران.

نعم.

*** الحديث 1 ***

قَالَ عُبَيْدُ الله بْنُ يَحْيَى - رحمه الله - حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ يَحْيَى اللَّيْثِيُّ عَنْ مَالِكِ بْن أَنَس عَن ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَخَّرَ الصَّلاَةَ يَوْمًا، فَدَخَلَ عَلَيْهِ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ الْـمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ أَخَّرَ الصَّلاَةَ يَوْمًا وَهُوَ بِالْكُوفَةِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيُّ فَقَالَ: مَا هَذَا يَا مُغِيرَةُ؟ أَلَيْسَ قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ جِبْرِيلَ نَزَلَ فَصَلَّى فَصَلَّى رَسُولُ اللهَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ صَلَّى فَصَلَّى رَسُولُ اللهَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ صَلَّى فَصَلَّى رَسُولُ اللهَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ صَلَّى فَصَلَّى رَسُولُ اللهَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ صَلَّى فَصَلَّى رَسُولُ اللهَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: بِهَذَا أُمِرْتَ.

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: اعْلَمْ مَا تُحَدِّثُ بِهِ يَا عُرْوَةُ، أَوَ إِنَّ جِبْرِيلَ هُوَ الَّذِي أَقَامَ لِرَسُولِ اللهَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقْتَ الصَّلاَةِ؟

قَالَ عُرْوَةُ: كَذَلِكَ كَانَ بَشِيرُ بْنُ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيُّ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ.

قَالَ عُرْوَةُ: وَلَقَدْ حَدَّثَتْنِي عَائِشَةُ زَوْجُ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي الْعَصْرَ وَالشَّمْسُ فِي حُجْرَتِهَا قَبْلَ أَنْ تَظْهَرَ.

اعلموا أن الموطأ رواه أقوام عن الإمام مالك:

ذكر منهم الغافقي في كتابه (مسند الموطأ) اثني عشر طريقا.

وذكر ابن طولون في كتابه (الفهرس الأوسط) أسند الموطأ من أربع وعشرين طريقا.

بل أوصل الشيخ ابن ناصر الدين الدمشقي في كتاب له إلى نيّف وثمانين طريقا للموطأ.

فرواة الموطأ كثيرون، من أشهرهم وأجلّهم: الشافعي، روى الموطأ عن الإمام مالك، ومن طريقه يرويه البيهقي في السنن الكبرى.

ومنهم: محمّد بن الحسن صاحب أبي حنيفة.

والموطأ برواية محمّد بن الحسن هو الذي يدرسه الأحناف في المشرق.

ومنهم: عبد الله بن مسلمة القعنبي شيخ البخاري، وعبد الله بن يوسف التِنيسي شيخ البخاري، ويحيى بن يحيى النيسابوري شيخ مسلم، وسويد بن سعيد الحدثاني، ويحيى

ابن قَزَعة وأبو مصعب الزهري، ومصعب الزبيري، وعبد الرحمن بن القاسم العُتقي، وابن وهب، وأشهب.

طوائف كثيرة روت الموطأ عن الإمام مالك، لم يبلغنا من هذه الروايات إلا أقلّها.

وطُبع الموطأ برواياته.

فطبعت هذه ـ طبعا ـ رواية يحيى بن يحيى الليثي مطبوعة من دهور.

طُبع الموطأ برواية أبي مصعب الزهري.

وطُبع ما وُجد منه برواية القعنبي، وبرواية يحيى بن عبد الله بن بُكيْر، وبرواية سعيد بن سُويْد، وبرواية ابن القاسم.

ما وُجد من موطأ هؤلاء طُبع، والحمد لله على ذلك.

والروايات قد تختلف، لأن الإمام مالكا ـ رحمه الله ـ كان ينظر في كتابه فيجدّد فيه النظر، ربما أزال شيئا، زاد شيئا، نقَص شيئا، فتختلف روايات هذه الموطأ، مما يساعد الناظر والباحث على استيعاب روايات الموطأ كلّها.

الرواية التي يدرس بها المالكية عموما الموطأ هي رواية يحيى بن يحيى الليثي.

أنتم سمعتم السارد قال: وحدثني يحيى بن يحيى.

من الذي يقول: حدثني يحيى بن يحيى؟ إذا كنا نقول: إن الرواية التي ندرس بها هي رواية يحيى بن يحي؟

ينبغي أن يقال: حدّثني مالك، ويكون الذي يتكلم هو يحيى بن يحيى.

لكن قال: حدّثني يحيى بن يحيى.

لأن المتكلم ابنُه، عبيد الله بن يحيى بن يحيى.

فالآن أنتم تجدون .. الطلبة يعرفون هذا، ولكن بعض الناس قد لا يعرفه.

تجدون: حدثني عن مالك. الكتاب لمالك، المفروض أن يكون مالك هو المتكلم فيقول: حدّثني الزهري.

لا.

مالك رُوي عنه، فلذلك يظهر اسمه، فيقال: حدّثني مالك.

وإنما الراوي عن يحيى بن يحيى ابنه، وهو الذي.

ياء المتكلم في (حدّثني) لعبيد الله بن يحيى، وذلك في الموطأ كله.

فإمّا يقول: حدّثني يحيى عن مالك، أو يقول: حدّثني عن مالك، فتفهمون أن المتكلم عبيد الله، وأنه يروي عن أبيه الذي يروي عن مالك.

وعبيد الله بن يحيى هذا سمع بالأندلس، هو رجل أندلسي.

هو عبيد الله بن يحيى بن يحيى بن وِسلاس بن كثير المصمودي الليثي القرطبي مولى الليثيين.

كان عالما وسمع بالأندلس من أبيه فقط، ولم يسمع من غير أبيه بالأندلس.

ثم رحل إلى المشرق، رحل حاجا وتاجرا، فحج ودخل بغداد فسمع بها الحديث، ثم دخل مصر فسمع بها أيضا، وتفقّه على طائفة ثم رجع.

وكان رجلا عالما صالحا عاقلا، انتهت إليه رياسة العلم في بلدته، ولم يكن يُنازَع فيها.

قال عبيد الله بن يحيى: وحدثني يحيى بن يحيى الليثي المصمودي القرطبي شيخ الأندلس وفقيهها وراوية مذهب الإمام مالك، راوية فقهه، وراوية حديثه.

ويجب أن يُميّز السامعون بين يحيى بن يحيى.

يحيى بن يحيى اثنان، كلاهما يروي عن مالك، لكن واحد لا يروي عنه الفقه، إنما يروي عنه الحديث فقط، والآخر يروي عنه الحديث ويروي عنه الفقه.

الذي يروي عنه الحديث والفقه هو **يحيى بن يحيى الليثي** صاحبنا هذا، الذي منه اشتهر الموطأ في الأصقاع المغربية.

يحيى بن يحيى الآخر الذي يروي عن مالك والذي لا يروي عنه إلا الحديث، لا يروي عنه الفقه هو **يحيى بن يحيى النيسابوري**، وهذا هو الذي يروي عنه مسلم في صحيحه موطأ مالك.

فتجدون ـ مثلا ـ في صحيح مسلم: حدثنا يحيى بن يحيى قال: حدّثني مالك.

لا يذهب ظنكم أن يحيى هذا هو يحيى هذا صاحب الموطأ.

إنما يحيى بن يحيى الذي يروي عنه مسلم هو يحيى بن يحيى النيسابوري.

وهذا عند المحدّثين باب يسمونه المتفِق والمفترِق.

الأسماء، إذا اتّحد اسم الراوي واتّحد اسم أبيه، واختلفت أشخاصهم.

فهذا يسميه المحدّثون: المتفِق والمفترِق.

ويحيى بن يحيى سمع الموطأ في الأندلس من زياد بن عبد الرحمن، هذا كان يُعرف بـ(شَبْطُون)، فسمع منه الموطأ كاملا، ثم رحل بعد ذلك إلى المدينة، فسمع الموطأ من الإمام مالك إلا أبوابا من كتاب الاعتكاف شكّ فيها: هل سمعها منه أم لم يسمعها؟ فرواها عن زياد بن عبد الرحمن عن مالك.

ثم لازم ابنَ وهب صاحب مالك، ولازم ابنَ القاسم صاحب مالك، وحمل عن ابن القاسم عشرة كتب من السؤالات ثم حج، ورجع إلى المدينة ليزداد من مالك فوجده مريضا مرض موته، فأقام بالمدينة إلى أن توفّى الله مالكا.

ثم رجع بعلم جمٍّ إلى الأندلس، فعُقِدت عليه الخناصر، وارتفع شأنه، وعلا قدره، وكان راوية عظيما فقيها ثقة، قليل الحديث، له فيه بعض الأوهام، وسيأتي بعض هذه الأوهام في هذا الكتاب ـ إن شاء الله ـ.

عُرِض عليه القضاء.

لما كان في المدينة، وقلت لكم: لازم الليث بن سعد أيضا، فمرّة أراد أن يمسك حبل دابّة الليث بن سعد، فأراد غلام الليث أن يمنع يحيى بن يحيى، فقال له الليث: دعه، ودعا له وقال له: **خدمك العلم**.

قال يحيى بن يحيى الليثي: فما زلت منتظرا تلك الدعوة حتى رأيتها.

يعني بذبك الجاه الذي لقيه بعدُ في الأندلس.

عُرِض عليه القضاء في الأندلس فتعفّف عنه، وتنزّه عنه، فكانت بعد ذلك رتبته أعلى من رتبة القضاة، وقُبِل قولُه عند سلطان الأندلس فكان لا يولّي أحدا القضاء إلا بمشورة يحيى بن يحيى الليثي.

فكان يولّي أصحابه، فكثُر لذلك الآخذون عنه والقبلون عليه.

وهذا من الأسباب التي أدّت إلى انتشار مذهب مالك في الأندلس، لأنه عزف الناس عن غيره، لأنه إذا درست مذهب غير مالك لا تُولَّى القضاء.

لا يولّي يحيى بن يحي إلا تلاميذه الذين يعرف نزاهتهم وعفّتهم وعلمهم وأمانتهم.

فأقبل الناس على دراسة مذهب الإمام مالك، وهذا السبب الذي جعل رواية يحيى بن يحيى الليثي للموطأ تشتهر في هذه الأصقاع المغربية.

نعم.

عبيد الله بن يحيى ـ رحمه الله ـ مات سنة ثمان وتسعين ومائتين (298هـ).

وأبوه يحيى بن يحيى الليثي مات سنة أربع وثلاثين ومائتين (234هـ).

نعم.

عن مالك بن أنس.

مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبَحي المدني الإمام المشهور، شهرته طبّقت الآفاق، فلا نرى وجها لذكر ترجمته.

هذا لعله مما يُعاب علينا ونحن في بلد مالكيٍّ بين أقوام مالكية ونذكر لهم بعد ذلك ترجمة الإمام مالك.

لكن، مما يُستحب أن تعرفوا أنه مات سنة تسع وسبعين ومائة (179هـ)، فهو إذن من القرون الخيرية التي شهد لها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأن ناسها خير الناس.

وليس لمالك ـ رحمه الله ـ رحلة، إنما أخذ العلم عن أهل المدينة، واختص بالزهري، ولما صنّف موطأه عرضه على سبعين من فقهاء المدينة ومحدّثيها، وما جلس للرواية الإفتاء والعلم حتى شهد له أكثر من سبعين معمَّما أنه أهل لذلك ـ رحمة الله عليه ـ.

الحديث الذي رواه الترمذي وغيره: **«يوشك الناس أن يضربوا آباط الإبل فلا يجدون أعلم من عالم المدينة»**[1].

هذا، كثير من العلماء أنزلوا هذا الحديث على الإمام مالك. لماذا؟

الإمام مالك ـ رحمه الله ـ في عصره هو لم تكن الرحلة تُعقد إلى غيره.

في عصره كان مرتبته بحيث لا تُشد الرحال إلا له.

في العصر الذي قبله، في طبقة شيوخه كان العلماء كثيرين في المدينة.

الحديث يوحي بأن واحدا مشهورا تُضرب إليه آباط الإبل للمدينة.

وفي عهد طبقة شيوخ مالك، كثيرون من كان يُرحل إليهم.

فالظاهر أن المراد بهذا الحديث هو مالك ـ والله أعلم ـ.

قال عبيد الله بن يحيى ـ رحمه الله ـ: وحدّثني يحيى عن مالك بن أنس عن ابن شهاب.

ابن شهاب: هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله ابن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مُرّة ابن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مُدرِكة بن إلياس بن مُضر بن نِزار بن

---

1 ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ رواية، قال: «يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم، فلا يجدون أحدا أعلم من عالم المدينة». قال عبد الرزاق في حديثه: هو مالك بن أنس. وقال ابن عيينة: يرونه مالك بن أنس. أخرجه الترمذي رقم (2682) في العلم، باب ما جاء في عالم المدينة، ورواه أيضا أحمد في " المسند " 2 / 299، وفيه عنعنة ابن جريج وأبي الزبير، ومع ذلك فقد حسنه الترمذي. جامع الأصول (9/ 241)

مَعَد بن عدنان. القرشيُّ الزهريُّ المدنيُّ. حافظ زمانه وأحد دواوين الإسلام.

أدرك صغار الصحابة كأنس بن مالك، ومحمود بن الربيع وسهل بن سعد الساعدي.

فهو ـ يعني ـ أدرك هؤلاء وأضرابهم.

ولازم سعيد بن المسيِّب أحد أئمة التابعين وتفقه به، وجالسه ثماني سنوات.

وكان إماما واسع الرواية جدا.

قال علي بن المديني: له نحو من ألفي حديث.

بل قد روى الزهري ـ رحمه الله ـ أحاديث تفرّد بروايتها، ولم يشاركه فيها غيره. فدلّ على سعة روايته.

قال الإمام مسلم: روى الزهري نحو من تسعين فردا، لا يشاركه في روايتها غيره، كلها إسناده قوي.

وهذا مما يدل على سعة روايته.

وهذا الذي أشار إليه العراقي ـ رحمه الله ـ في ألفيته بقول:

وَقَــــوْلُ مُسْــــلِمٍ: رَوَى الزُّهْــــرِيُّ

تِسْــــعِينَ فَــــرْداً كُلُّهَــــا قَــــوِيُّ

قلت: كانَ إماما واسع الرواية جدا.

قال الليث بن سعد ـ رحمه الله ـ: ما رأيت عالما أجمع من ابن شهاب، إذا حدّث في الترغيب قلتَ: لا يُحسِن إلا هذا، وإذا حدّث عن العرب والأنساب قلتَ: لا يُحسِن إلا هذا، وإذا حدّث عن القرآن والحديث كان حديثَه[1].

وسبب هذا العلم الواسع وهذا الحفظ الغزير: ما رواه أبو الزناد ـ قرينه وصاحبه ـ قال: كنا نطوف على العلماء مع الزهري، فكان يحمل معه الصحف والألواح يكتب كل ما يسمع، وكنا نضحك به، فلما احتيج إليه علمت أنه أعلم الناس.

وحدّث الزهري عن نفسه قال: نشأت وأنا فتى ليس لي مال ولا أنا في ديوان، وكنت أتعلم نسب قومي من عبد الله ابن ثعلبة بن صُعيْر، وكان رجلا عالما بذلك.

قال: فأتاه يوما رجل فسأله مسألة في الطلاق، فلم يدر عبد الله ما يقول فيها.

قال الزهري في نفسه: أنا أَراني مع هذا الرجل المُسِنّ الذي يذكر أنّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مسح رأسه ثم يُسأل عن هذا فلا يدري؟

قال: فانطلقت مع السائل وتركت عبد الله بن ثعلبة، وذهبت مع السائل إلى سعيد بن المسيّب، فلازمته، ثم لازمت عروة بن الزبير ، ولازمت أبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام حتى فقُهت.

ثم رحلت إلى الشام، والشام في ذلك الوقت قاعدة الإسلام وعاصمة الخلافة، وفيها موضع أمير المؤمنين، وكان في ذلك الوقت عبدَ الملك بنَ مروان.

قال: فأتيت دمشق فدخلت مسجد دمشق، مسجد الأُمويين، معروف.

قال: فدخلت مسجد دمشق في السَّحَر، فأممت حلقة وجاه المقصورة عظيمة، حلقة من حِلق العلم في وقت السَّحَر.

قال: فأممت حلقة وجاه المقصورة عظيمة، فجلست فيها، فنسبني القوم، سألوني عن نسبي، فانتسبت فقلت: رجل من قريش.

---

1 ـ سير أعلام النبلاء (5/ 328)

فقالوا: ألك علم بالحكم في أمهات الأولاد؟ أمهات الأولاد هن الإماء اللائي يطؤهن ـ يعني ـ صاحبهن.

فقيل له: ألك حكم في أمهات الأولاد؟

قال: فحدثتهم بقول عمر بن الخطاب.

فقالوا: له: هذا مجلس قبيصة بن ذؤيب ـ هذا قبيصة بن ذؤيب كان أحد العلماء، وكان وزيرا من وزراء عبد الملك بن مروان ـ.

قالوا: هذا مجلس قبيصة بن ذؤيب، وقد سأله أمير المؤمنين عن ذلك فلم يجد عنده علما، وقد سألنا قبيصة فلم يجده، فانتظر حتى يأتي.

قال: فانتظرت، فأتى قبيصة فأخبروه الخبر، فسألني، نسبني فانتسبت، فسألني عن سعيد بن المسيب وعن نظرائه فأخبرته.

ثم قال لي: ما تقول في حكم أمهات الأولاد؟

قال: فحدّثته بحديث عمر.

قال: فأنا أدخلك على أمير المؤمنين.

قال: فصلينا الصبح، فانطلق قبيصة وانطلقت وراءه.

قال: فدخل هو على عبد الملك، وجلست أنا بالباب حتى ارتفعت الشمس، فخرج الآذِن ثم قال: أين هذا الفتى القرشيُّ المديني؟

فقلت: ها أنا ذا.

قال: ادخل.

قال: فدخلت، فإذا عبد الملك والمصحف بين يديه قد أطبقه، وأمر به فرُفِع، وليس عنده غير قبيصة.

قال: فسلمت عليه فقال: من أنت؟

قال: فانتسبت إلى زُهرة ـ يعني قلت: أنا محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زُهرة.

فقال عبد الملك: أوّه، قوم نعّارون في الفتن.

وذلك أن أبا الزهري مسلم بن عبيد الله كان مع الذين يحاربون عبد الملك بن مروان، كان مع عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما في حربه لعبد الملك بن مروان، لذلك قال له: قوم نعّارون في الفتن.

قال الزهري: فقلت: يا أمير المؤمنين، عفا الله عما سلف.

فقال له عبد الملك: أتقرأ القرآن؟

قلت: نعم.

قال: ما تقول في امرأة ماتت وتركت زوجها وأبويها؟

فقال الزهريُّ: قلت: لزوجها النصف، ولأمها السدس، ولأبيها ما بقي.

فقال له عبد الملك: أصبت الفرض وأخطأت اللفظ.

هذا الفرض، نعم هذه فريضة، معروفة عند أصحاب الفرائض، معروفة بـ...

هذه إحدى العمريتين.

العمريتان فريضتان معروفتان، يموت الزوج ويترك زوجة وأبويها، أو تموت الزوجة وتترك زوجها وأبويها.

هاتان هما العمريتان.

قال: للزوج النصف، نعم.

وللأم[1] السدس، لا نقول هكذا في الفرائض، إنما نقول: للأم[2] ثلث الباقي، ثلث الذي يبقى هو السدس.

---

1 ـ وقع سهو من الشيخ فقال: "وللزوجة" بدل الأم.

2 ـ وقع نفس السهو حيث نطق بالزوجة، والمقصود الأم. كما هو معلوم.

ولأبيها[1] ما بقي.

فلذلك قال له: أصبت الفرض وأخطأت اللفظ.

قال: ما عندك في حكم أمهات الأولاد؟

قال: فقلت: أخبرني سعيد بن المسيّب.

فقال عبد الملك: كيف سعيد؟ وكيف حاله؟

فأخبرته.

قال: ثم قلت له: أخبرني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث.

فقال: وكيف هو؟

فقال: فأخبرته.

وذلك أن عبد الملك كان من فقهاء المدينة قبل أن يُبتلى بالخلافة.

قال: ثم أخبرته بحديث عمر في أمهات الأولاد.

فالتفت إلى قبيصة وقال: يُكتب بهذا إلى الأمصار. ثم سكت.

قال الزهريُّ في نفسه: قلت: لا أجده أخلى منه الساعة، يعني المجلس، مجلس أمير المؤمنين ليس فيه إلا الزهري وقبيصة، فقال: لعلي لا أجده كمثل هذه الساعة خاليا فيها، ولعلي لا أدخل عليه بعدها، انتهز الفرصة فقال: إن رأى أمير المؤمنين أن يصل رحمي ويفرض لي فعل.

فقال له عبد الملك: هيه، قم الآن لشأنك.

قال الزهري: فقمت والله مؤيسا من كل شيء خرجت من أجله وأنا يومئذ مُقِلٌّ مُرْمِلٌ.

فلما خرج قبيصة أقبل عليَّ يلومني ويقول: ما حملك أن تفعل ما فعلت من غير مشورتي؟

فقال: قلت في نفسي: لعلّي لا أدخلَ عليه بعدها.

فقال له قبيصة: إيتني المنزل.

قال: فأتيته، فخرج لي الخادم بمائة دينار وأمر لي قبيصة من عنده بغلام ودابة وعشرة أثواب وأمرني أن أغدُو عليه من الغد.

قال: فغدوت عليه.

قال: سأُدخِلك على أمير المؤمنين، ولكن لا تكلّمه بشيء وأنا أكفك أمرَه.

قال: فدخلت فسلمت على عبد الملك، فأومأ إلي أن اجلس. ثم جعل يسألني عن أنساب قريش.

قال: فجعلت أجيبه، فلهو كان أعلمَ بها منّي فكنت أودّ أن يقطع عني الحديث في الأنساب.

لأنه كان متقدما عليه فيها.

فقال حينئذ عبد الملك: قد فرضت لك فرائض أهل بيتك، وأين تحب أن تكون فريضتك؟

قال: فالتفت على قبيصة وأملاه أن يكتب ذلك في الديوان.

ثم سأل الزهريَ: أين تريد أن تكون فريضتك؟ مع أمير المؤمنين ها هنا أم في بلدك؟

قال الزهري: يا أمير المؤمنين، أنا معك.

فخرج فتبعه قبيصة وقال له: إن أمير المؤمنين أمر أن تُكتب في صحابته، وأمر أن يُجرى عليك رزق الصحابة، وأمر أن تُرفع فريضتك إلى أرفع منها، فالزم باب أمير المؤمنين.

1 ـ سهو آخر، حيث قال الشيخ: "ولزوجها"، والمقصود: ولأبيها.

قال الزهري: فما تخلفت بعدها.

وكان هذا سبب اتصال الزهري ببني مروان، وكان هذا سبب ـ يعني ـ انثيال الدنيا عليه.

وكان كريما لا يبقي ولا يبالي.

لا يبالي ـ يعني ـ أمسك شيئا أم لم يمسك.

ولزم الزهريُّ عبدَ الملك بنَ مروان، ثم لزم بعده ابنه الوليد بن عبد الملك، ثم سليمان بن عبد الملك، ثم عمر بن عبد العزيز، ثم يزيد بن عبد الملك، ومات في خلافة هشام بن عبد الملك، وكان ذلك سنة أربع وعشرين ومائة (124هـ)، بعضهم يقول: سنة خمس وعشرين، وبعضهم يقول: سنة ثلاث وعشرين ومائة.

من الطرائف التي يذكرونها في ترجمة الزهري أنه لما كان يطلب العلم على شيوخه في المدينة قال: كنت آتي عروة بن الزبير فأسمع منه ثم أنقلب إلى البيت، فتكون عنده جارية في بيته نائمة فيوقظها ويقول لها: حدثني فلان بكذا، حدثني فلان بكذا.

فتقول الجارية: أنا مالي ولهذا؟

فيقول لها: علمت أنكِ لا تنتفعين به، ولكنني سمعت شيئا فأردت أن أذاكره.

ومن كلامه الذي سار مسرى الأمثال قوله ـ رحمه الله: **لا يرضى الناسُ علمَ عالم لا يعمل، ولا يرضى الناسُ عملَ عامل لا يعلم.**

نعم.

قَالَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ يَحْيَى ـ رحمه الله ـ **حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ يَحْيَى اللَّيْثِيُّ عَنْ مَالِكِ بْن أَنَس عَن ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَخَّرَ الصَّلَاةَ يَوْمًا، فَدَخَلَ عَلَيْهِ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ أَخَّرَ الصَّلَاةَ يَوْمًا وَهُوَ بِالْكُوفَةِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيُّ فَقَالَ: مَا هَذَا يَا مُغِيرَةُ؟ أَلَيْسَ قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ جِبْرِيلَ نَزَلَ فَصَلَّى فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ صَلَّى فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ صَلَّى فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ صَلَّى فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ صَلَّى فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: بِهَذَا أُمِرْتَ.**

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: اعْلَمْ مَا تُحَدِّثُ بِهِ يَا عُرْوَةُ، أَوَ إِنَّ جِبْرِيلَ هُوَ الَّذِي أَقَامَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقْتَ الصَّلَاةِ؟

قَالَ عُرْوَةُ: كَذَلِكَ كَانَ بَشِيرُ بْنُ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيُّ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ.

قَالَ عُرْوَةُ: وَلَقَدْ حَدَّثَتْنِي عَائِشَةُ زَوْجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي الْعَصْرَ وَالشَّمْسُ فِي حُجْرَتِهَا قَبْلَ أَنْ تَظْهَرَ.

عمر بن عبد العزيز بن مروان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأمويُّ القُرشيُّ الخليفة العادل الراشد، أحد أئمة المسلمين.

كان أميرا على المدينة لابن عمّه الوليد بن عبد الملك، وكان لابن عمه الآخر سليمان بن عبد الملك وزير صدق، وهو الذي استخلفه من بعده، ومات رحمة الله عليه سنة إحدى ومائة (101هـ)، وكانت خلافته سنتين ونصف.

وسنذكر ـ إن شاء الله ـ ترجمته بأوسع من هذا في مقام آخر.

نعم.

عَن ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ

قول الراوي: (أن فلانا قال) ترون هنا: الإسناد يحيى عن مالك عن الزهري أن عمر بن عبد العزيز.

أداء الراوي بهذه الصيغة، بصيغة (أنّ) هذا فيه خلاف بين المحدّثين: هل هذا إسناد متصل أم إسناد منقطع؟

قبل ذلك دعوني أقدم لهذا الكلام بمقدّمة كي يفهم جمهور السامعين الشيء الذي أرمي إليه.

الحديث يقسّمه أهل الحديث إلى ثلاثة أقسام: حديث صحيح، وحديث حسن، وحديث ضعيف.

والحديث الصحيح هو حديث اجتمعت فيه شروط، هذه الشروط ـ يعني ـ مجموعة في التعريف.

تعريف الحديث الصحيح ما هو؟

هو ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن مثله إلى منتهاه من غير شذوذ ولا علة قادحة.

قال العراقي:

وأهـــل هـــذا الشـــان قسّـــموا السُّـــنن
إلى صـــحيح وضـــعيف وحســـن

فالأول (أي الصحيح).

فـــالأول المتصـــل الإســـناد
بنقـــل عـــدل ضـــابط الفـــؤاد
عـــن مثلـــه مـــن غـــير شـــذوذ
وعلـــة قادحـــة فتـــوذي

إذن الحديث الصحيح له خمسة شروط: ثلاثة شروط وجودية، وشرطان عدميان.

ثلاثة شروط وجودية: اتصال السن، وعدالة الرواة، وضبط الرواة.

نقول: شروط وجودية، أي يُشترط ووجودُها.

وشرطان عدميان يُشترط عدمهما، وهما: عدم الشذوذ، وعدم العلة.

الشرط الأول: اتصال السند، معناه ماذا؟

معناه أن يكون كل راو في ذلك السند أخذ الحديث عمّن هو فوقه، عمّن يرويه عنه.

كيف يُعرف ذلك؟ كيف يُعرف أنه أخذه عنه؟

هذا هو الذي قلنا: اتصال السند.

إذا كان الراوي لقي ذلك الذي يُحدّث عنه وروى عنه، هذا إسناد متصل.

إلا أنه عندما يريد أن يؤدي، عندما يريد أن يحدّث.

صيغ التحديث قسمان: صيغ صريحة، وصيغ محتملة.

الصيغ الصريحة: هذه صيغ صريحة في أن هذا الذي يحدّث سمع الحديث ممن يرويه عنه.

مثلا: يقول: (حدّثني فلان)، هذه صيغة صريحة أنه سمع منه فحدّث.

مثلا: يقول: (سمعت فلانا)، أو يقول: (أخبرني فلان)، هذه صيغ صريحة.

الصيغ المحتمِلة: الصيغ غير الصريحة ثلاثة: (عن فلان)، (قال فلان)، (أنّ فلانا قال).

ولماذا قالوا: هذه صيغ غير صريحة؟

لأنها.

من قال ـ مثلا ـ: (عن فلان)، يحتمِل أنه سمع منه ذلك، ويحتمِل أنه لم يسمعه منه، وإنما سمعه من غيره.

مثلا، نحن لما نقول: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم)، هذا لا يُشك ـ إذا كان الحديث مثلا صحيحا ـ لا يُشك أن الرسول صلى الله عليه وسلم قاله، لكن لا يعني ذلك أننا سمعناه منه.

ولو قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) معنى هذا أنه سمعه منه.

لكن لو قال أحد: (حدّثني فلان) ولم يكن سمعه منه، هذا لا يتأتّى.

مفهوم الكلام؟

فإذن هذه الصيغ التي ليست بصريحة.

يُشترط في الذي يحدّث بها أن يكون ثقة غير مدلّس.

فإذا كان مدلّسا، الحديث الذي يؤدّيه بـ(عن) لا يُقبل منه.

نقول له: جزاك الله خيرا، لا نقبل منك حتى تأتي بصيغة صريحة، حتى تقول: (حدّثنا)، أو تقول: (سمعت).

تتقول: (عن)، أنت ثقة، لكنك مدلّس، لا نقبل منك.

أما إذا كان ثقة لا يدلّس، فهذا إذا قال: (عن فلان)، أو قال: (قال فلان)، أو قال: (أنّ فلانا قال)، أو قال: (حدّثني فلان)، فكلها سواء.

وهذا الذي ذكره العراقي في ألفيته بقوله:

وصــــحَّحوا وصـــل معـــنعن سَـــلِمْ
مـــن دُلْسَـــة مـــن راويـــه واللقـــا عُلِـــمْ

هذا عندهم صحيح.

هذا الذي ذكرت لكم، إذا كانت صيغة التحديث بـ(قال)، أو بـ(عن).

أمّا إذا كانت الصيغة (أنّ) هذا موضع خلاف بين المحدّثين، مثل الإسناد الذي عندنا: الزهري أن عمر بن عبد العزيز.

جمهور المحدّثين أن هذا سند متصل.

جمهور المحدّثين أن حكم (أنّ) هو حكم (عن)، يعني إذا كان الراوي ثقة غير مدلّس، فالإسناد متصل.

هذا حكم جمهور المحدّثين.

ذهب الحافظ أبو بكر أحمد بن هارون البردعي البرديجي المتوفى سنة إحدى وثلاثمائة (301هـ) إلى أن الإسناد الذي يودّى فيه الحديث بـ(أنّ) إسناد منقطع ولو كان الراوي ثقة غير مدلّس.

إسناد منقطع.

وتبع البرديجيَ على هذا الحافظ أبو الحسن بن الحصّار المتوفى سنة إحدى عشرة وستمائة (611هـ).

ونسبه ابن الصلاح.

نسب ابن الصلاح في كتابه هذا المذهب إلى أحمد بن حنبل المتوفى سنة إحدى وأربعين ومائتين (241هـ)، وإلى يعقوب بن شيبة السدوسي، الحافظ، المتوفى سنة اثنتين وستين ومائتين (262هـ).

البردعي والبرديجي وابن الحصّار مشهور هذا المذهب عنهما.

لكن، نسبة هذا المذهب إلى ابن حنبل وإلى يعقوب بن شيبة فيه نظر.

هذه النسبة فيها نظر.

ما الذي حمل ابن الصلاح إلى نسبة هذا المذهب إلى هذين العَلَمين؟

الخطيب البغدادي ـ رحمه الله ـ روى في الكفاية عن أبي داود صاحب السنن قال: سمعت أحمد بن حنبل وقد سُئِل: رجل يقول: (عروة عن عائشة)، ورجل يقول: (عروة أنّ عائشة)، هل هذا سوَاء؟ فقال أحمد: كيف هذا سواء؟ ليس هذا بسواء.

فلما رأى ابن الصلاح هذه الرواية قال: الإمام أحمد يرى أن الإسناد المؤدّى بـ(أنّ) إسناد منقطع، لأنه قال: ليس هذا بسواء.

لماذا نسب هذا المذهب أيضا إلى يعقوب بن شيبة السَّدوسي؟

لأنه رأى أن الحافظ السدوسي ـ الحافظ ابن شيبة ـ رأى إسنادا فيه، هذا الإسناد هو الذي سأذكر لكم: أبو الزبير عن محمد بن الحنفية عن عمّار بن ياسر قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فسلمت عليه فرد عليّ السلام.

قال ابن شيبة: هذا إسناد متصل.

أنتم انتبهوا للإسناد، ورجاله قليل، يمكن حفظهم.

أبو الزبير عن محمد بن الحنفية عن عمّار بن ياسر. هذا إسناد متصل.

وهذا الحديث رواه قيس بن سعد عن عطاء بن أبي رباح عن محمد بن الحنفية أن عمّار بن ياسر مرّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فسلم عليه فرد عليه السلام.

قال يعقوب بن شيبة: هذا منقطع.

فنظر ابن الصلاح: ما الفرق بين الإسنادين؟

في الإسناد الأول: عن عمّار قال: أتيت رسول الله. صلى الله عليه وسلم.

في الإسناد الثاني: عن محمد بن الحنفية أن عمارا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقال ابن الصلاح: يعقوب بن شيبة رأى إسنادا فيه (أنّ) قال: منقطع، ورأى إسنادا فيه (عن) فقال متصل. فنسب هذا المذهب الذي ذكرت لكم إلى ابن شيبة أيضا.

وغلّطه العراقي.

الحافظ العراقي غلّط ابنَ الصلاح في هذا الذي ذهب إليه.

يقول العراقي في ألفيته:

....

وَحُكْـمُ (أَنَّ) حُكـمُ (عَـنْ) فَالجُـلُّ
سَـوَّوْا، وَللقَطْـعِ.....................

(وللقطع) لاعتباره إسنادا منقطعا.

.... وَللقَطْـعِ نَحَـا (البَرْدِيْجِـيْ)
حَتَّـى يَبِيـنَ الوَصْـلُ فِي التَّخْـرِيجِ

قال

كلما جاء فعل غيرُ مُسمّى فاعله في ألفية العراقي فهو ابن الصلاح.

القائل صاحب الفعل، الفاعل الذي يعود عليه ذلك الفعل هو ابن الصلاح

قَـالَ : وَمِثْلَـهُ رَأى (ابْـنُ شَـيْبَهْ)
....

قال العراقي:

....
كَـذا لَـهُ ، وَلَمْ يُصَـوِّبْ صَـوْبَهْ

يعني: لم يدرك ابنُ الصلاح الملحظ الذي من أجله ... صلى الله عليه وسلم، والإسناد رجاله ثقاة فهو صحيح.

أما من الإسناد الثاني عن قيس بن سعد عن عطاء بن أبي رباح عن محمد بن الحنفية أن عمّارا مرّ برسول الله.

من الذي يقص القصة الآن؟

محمد بن الحنفية.

ومحمد بن الحنفية لم يدرك تلك القصة.

محمد بن الحنفية ليس صحابيا.

هذا هو ابن علي بن أبي طالب، من غير فاطمة، رضي الله عن الجميع.

وهو ليس بصحابي، لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم، فهو يقص قصة وقعت لعمار رضي الله عنه مع رسول الله، وقطعا لم يدركها، فالإسناد منقطع، ليس للتأدية بـ(أنّ) أو بـ(عن).

إنما لأن عمارا يقص قصة وقعت له، وابن الحنفية يقص قصة وقعت لعمّار مع رسول الله وهو لم يدركها.

فلذلك قال العراقي مغلّطا ابن الصلاح:

....

كَـــــذا لَـــــهُ........................

كذا ظن.

....

............وَلَمْ يُصَـــــوِّبْ صَـــــوْبَهْ

لم يأت جهته، لم يفهم.

وها ذاك الذي نسبه أيضا لأحمد بن حنبل، قال العراقي في نكته على ابن الصلاح: وقول أحمد بن حنبل ليس مخالفا لقول مالك ولا لقول غيره.

يعني لا يعني ما فهمه ابن الصلاح، ولهذا قال هو:

وَمَـــا حُكِـــي عَـــنْ (أَحْمَـــدَ بـــنِ حَنْبَـــلِ)

وَقَـــولِ (يَعْقُـــوبٍ) عَـــلَى ذا نَـــزِّلِ

أي على هذه الحيثية التي ذكرنا.

الصواب في هذا هو مع الجمهور أن الحديث المؤدّى بـ(أنّ) كالحديث المؤدّى بـ(عن) إذا كان الراوي ثقة غير مدلّس فالحديث صحيح.

ولهذا قال العراقي في ألفيته:

قُلْـــتُ: الصَّـــوَابُ أنَّ مَـــنْ أدْرَكَ مَـــا

رَوَاهُ بالشَّرْـــــطِ الَّـــــذي تَقَـــــدَّمَا

يُحْكَـــمْ بالوَصْـــلِ لَـــهُ كَـــيفَمَا رَوَى

بِـــ(قَـــالَ) أو (عَـــنْ) أو بِـــ(أنَّ) فَسَـــوَا

هذا البيت في الحقيقة ليس هو للعراقي، بيت العراقي.

الثاني:

قُلْـــتُ: الصَّـــوَابُ أنَّ مَـــنْ أدْرَكَ مَـــا

رَوَاهُ بالشَّرْـــــطِ الَّـــــذي تَقَـــــدَّمَا

هذا بيت العراقي:

يُحْكَـــمْ لَـــهُ بالوَصْـــلِ كَـــيفَمَا رَوَى

....

شيخنا الدَّدَوْ ـ حفظه الله ـ صحّح هذا البيت فصيّره:

يُحْكَـــمُ بالوَصْـــلِ لَـــهُ............

....

ليتخلّص من إسكان المضارع بلا داع، هي من الضرائر السائغة في الشعر، لكن إذا أمكن تلافيها وإصلاحها وتُجُنِّبت الضرورة فهو أولى.

نعم.

أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَخَّرَ الصَّلَاةَ يَوْمًا

عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ أخّر الصلاة يوما.

في الموطأ لم تُعَيَّن هذه الصلاة التي أخّرها عمر بن عبد العزيز.

لكن في خارج الموطأ عُرِفت الصلاة وهي صلاة العصر، أخّرها يوما وذلك لما كان أميرا على المدينة لابن عمّه الوليد بن عبد الملك، لما كان الوليد بن الملك خليفة للمسلمين أمّر على المدينة عمر بن عبد العزيز، فلما كان أميرا عليها في يوم من أيام إمارته أخّر الصلاة، أخّر صلاة العصر.

وقوله: (**يوما**) يدل على أنه أخّرها مرة ولم يكن ذلك دأبَه وعادتَه، خلافا لقومه بني أمية. بني مروان. أولئك كانوا يؤخرون الصلاة.

وهذا كان حدّث به رسول الله صلى الله عليه وسلم.

في الصحيح، في صحيح مسلم من حديث ابن مسعود أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «**سيكون عليكم أمراء، يؤخرون الصلاة حتى يكون شرَقُ الموتى**».

يعنى لا يبقى من الوقت إلا مثل الوقت الذي يَشْرَق الميت فيه بريقه قبل أن يموت، هذه كانت عادةً في حكم بني مروان، وعمر بن عبد العزيز منهم، وقد يُظن أنه كان من عادته أيضا أنه يؤخر الصلاة فقال: (**يوما**)، ليدل على أن ذلك لم يكن فعلَه الدّائم، وإنما فعله مرة.

وقال: (**أخّر الصلاة**) لم يؤخّرها حتى خرج وقتها، إنّما أخرها عن وقتها الفاضل الذي هو أوّل الوقت.

أوّل الأوقات هو أفضل الأوقات في الصلاة.

هو أخرها عن وقتها الفاضل إلى وقتها المفضول، ولا نظن بمثل عمر بن عبد العزيز في تقواه وورعه أنه أخر الصلاة حتى خرج وقتها.

نعم.

فَدَخَلَ عَلَيْهِ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ الْـمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ أَخَّرَ الصَّلَاةَ يَوْمًا وَهُوَ بِالْكُوفَةِ.

عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي القُرشيُّ المدني، الإمام الفقيه، المشهور، أحد الفقهاء السبعة، وأعلم الناس بحديث خالته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، أمه أسماء بنت أبي بكر، ذات النطاقين، المعروفة، ومات عروة سنة أربع وتسعين (94هـ)، وسنذكر إن شاء الله بعض ما يتعلق بترجمته، إنما لا نريد أن نكثر من التراجم في مجلس واحد.

نعم.

فَأَخْبَرَهُ أَنَّ الْـمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ أَخَّرَ الصَّلَاةَ يَوْمًا وَهُوَ بِالْكُوفَةِ.

المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ أخر الصلاة يوما وهو بالكوفة.

في الموطأ أيضا لم تُعيَّن تلك الصلاة التي أخّر، وقد عُيِّنت في رواية عند عبد الرزاق في مصنّفه، هي صلاة العصر أيضا، فيكون هذا توافق في الصلاة المؤخّرة بين عمر بن عبد العزيز والمغيرة بن شعبة.

وأخّرها وهو بالكوفة أميرا عليها، كان أميرا عليها لما كان أميرُ الناس معاويةَ ـ رضي الله عنه ـ كان هو أميرا على الكوفة، من قِبَل معاوية ـ رضي الله عنه ـ.

الكوفة هي أول مدينة اختطها المسلمون في العراق.

أول مدينة بناها المسلمون في العراق هي الكوفة.

وكان ذلك سنة أربع عشْرة، يعني في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وتقع على شطّ الفرات، نهر الفرات، وسميت الكوفة باسم جبل، جبيل صغير كان في وسطها يسمى كوفان، وعليه بنيت، فسميت باسمه، فقيل: الكوفة.

نعم.

فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيُّ فَقَالَ: مَا هَذَا يَا مُغِيرَةُ؟

أبو مسعود الأنصاري هو عقبة بن عامر مشهور بكنيته ولم يشتهر باسمه، مشهور بأبي مسعود الأنصاري أو بأبي مسعود البدري، وهذه النسبة: البدري، نسبة إلى بدر المكان لا الغزوة، فقد كان ساكنا بدرا فنسب إليها، كما يقال: الرباطي، والطنجي، والسلوي، إلى آخره.

البخاري ـ رحمه الله ـ ذكره فيمن شهد غزوة بدر، لكنّ جمهور أهل السِيَر يرون أنه لم يشهد بدرا.

وقال ابن عبد البر ـ رحمة الله عليه ـ: الصواب أنه لم يشهدها.

وأما هذه النسبة فهي نسبة إلى المكان.

وغزوة بدر هي سميت غزوة بدر لأنها وقعت على آبار بدر.

فهو سكن هناك فنُسب إلى ذلك الموضع.

نعم.

أَلَيْسَ قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ جِبْرِيلَ نَزَلَ فَصَلَّى؟

قوله: (**أليس قد علمت؟**)، ما هذا يا مغيرة؟ أليس قد علمت؟ يعني فيه دليل ظاهر على أن المغيرة كان عالما بذلك، لأن من لا يعلم الشيء لا يقال له: أليس قد علمت؟

وهذا يؤيده رواية البخاري: (**لقد علمت**).

مفهوم؟

والأشهر في الاستعمال اللغوي أن يقال للمخاطب: ألست قد علمت؟

هذا هو المشهور في الاستعمال اللغوي.

ألست قد علمت؟ للمخاطَب.

وأليس قد علم؟ للغائب.

لكن هذا أيضا يجوز أن يقال: أليس قد علمت؟

نعم.

أَلَيْسَ قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ جِبْرِيلَ نَزَلَ فَصَلَّى؟

جبريل ، رسول رب العالمين إلى رسله، عليهم الصلاة والسلام.

وجبريل هذه كلمة أعجمية، وفيها لغات كثيرة، من هذه اللغات: جِبريل، هكذا، وجبرائيل، وجبرائل، من غير مد بعد الهمزة المكسورة، وجَبريل، وفيها لغات غير هذه الأربعة، وهذه اللغات الأربعة مقروء بها في السبع، يقول الشاطبي ـ رحمة الله عليه ـ في حِرزه:

وَجِبْرِيـــلَ فَـــتْحُ الْجِـــيمِ وَالـــرَّا وَبَعْـــدَهَا
وَعَـــى هَمْـــزَةٌ مَكْسُـــورَةٌ صُـــحْبَةٌ وِلَا
بِحَيْـــثُ أَتَـــى وَالْيَـــاءَ يَحْـــذِفُ شُـــعْبَةٌ
وَمَكِـــيُّهُمْ فِي الْجِـــيمِ بِـــالْفَتْحِ وُكِّـــلَا

وجَبريل وجِبريل فتح الجيم، جَ، والرا، جَبرَ، وبعدها همزة مكسورة مُمَدّة، بعدها ياء.

جَبرائيل، هذه قراءة الأخوين، حمزة والكِسائي.

شعبة عن عاصم يقرأ: جَبرائل، كالأخوين، لكن من غير مد.

والمكي، ابن كثير المكي يقرأ جَبريل.

والباقون وهم نافع وأبو عمرو البصري، وابن عامر الشامي وحفص عن عاصم، يقرأون جِبريل.

نعم.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: جَبْر معناها: عبد، وإيل معناها: الرب، فجبرائيل: عبد الرب، عبد الله.

جبريل عليه السلام نزل، متى نزل؟

لم يُذكر هنا، لكن في خارج الموطأ ذُكر أن نزوله كان صبيحة الليلة التي أسري فيها بالنبي صلى الله عليه وسلم.

أنتم تعلمون أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أسري به ثم عُرج به فُرضت الصلاة ثَمّ، فنزل جبريل في صبيحة الليلة التي وقع فيها هذا الذي ذكرت لكم ليبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم صفة الصلاة التي أُمر بها.

رسول الله أُمر بالصلاة، لا يعلم صفتها فنزل جبريل صبيحتها، لأنه حينئذ شُرع التكليف، بدأ التكليف بالصلاة، فنزل جبريل ليُجلّيَ ليُبين للنبي صلى الله عليه وسلم هذا الذي كُلّف به.

نعم.

(نزل فصلّى)، فصلى، أُبهمت الصلاة التي صلاها جبريل، وقلنا نزل في الصبيحة، يعني: أي صلاة هي التي سيصليها أوّلا؟

الظهر، ولذلك سميت الظهر: الأولى، لأنها أول صلاة صليت، تكليفا.

نزل فصلى الظهر، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الفاء، هذه من حروف المعاني.

أهل النحو يقسمون الحروف إلى قسمين: حروف معان، وحروف مبان.

حروف المباني هي حروف الهجاء، هي الحروف التي تُبنى منها الكلمات، مثلا: لو قلنا: القرآن، الألف حرف مبنى، اللام حرف مبنى، القاف حرف مبنى، الراء حرف مبنى.

لا يقال: ما معنى القاف؟ ولا يقال: ما معنى الراء في القرآن؟

لماذا؟ لأن هذه حروف مبان. بنيت منها الكلمة.

حروف المعاني هي حروف لها معنى.

الناس تعرف حروف الجر، قال ابن آجروم: من وإلى وعن وعلى وفي رُب ... إلى آخره. هذه حروف الجر عملها الجر، لكن ما معناها؟ لها معان، مثلا تقول: جئت إلى المسجد، إلى المسجد، (إلى) ما هو؟ تقول حرف جر، لكن هذا عمله، أسألك عن معناه. تقول: هذا حرف يُفهَم منه انتهاء الغاية. ما غايتك؟ ما انتهاء غايتك؟ المسجد، إلى المسجد.

رجعتُ من المسجد، تدل على ابتداء الغاية.

جلستَ على الأرض، تدل على الاستعلاء والفوقية.

هذه حروف لها معان.

حروف العطف أيضا لها معان.

الفاء من حروف العطف، معناها.

طبعا العطف هذا عملها.

معناها: الترتيب بتعقيب.

حروف العطف تعرفون منها (الواو)، تعرفون منها (ثُم)، تعرفون منها (أو، أم، بل) إلى آخره.

الفاء: هذه معناها الترتيب بتعقيب.

يعني: العربي إذا قيل له: (جاء زيد وعمرو)، لا يفهم منه، لا يفهم من هذه الكلمة، من هذه الجملة، ما يفهمه لو قلت: (جاء زيد ثم عمرو).

ولا يفهم من الجملتين ما يفهمه لو قلت: (جاء زيد فعمرو).

(جاء زيد وعمرو) يفهم العربي من هذا أنهما جاءا، من جاء أولا؟ الله أعلم. هل جاءا معا؟ أو بتراخ بين الجيئتين؟ الله أعلم. هذا كله لا يفيده الكلام.

لكن إذا قيل: (جاء زيد ثم عمرو) يفهم العربي بسليقته أن الجائيَ أولا زيد، والجائيَ ثانيا عمرو، وأن بينهما فترة.

العربي يفهم أنه جاء زيد، وبعد هنيهة جاء عمرو، هذا تفيده (ثُمّ).

ويسمون هذا: الترتيب بتراخ.

فإذا قيل: (جاء زيد فعمرو) يفهم العربي أن الترتيب حاصل، يعني: جاء زيد أوّلا وجاء عمرو ثانيا، وأنّه لا تراخي بين زيد وعمرو، لا تراخي بينهما، بمجرّد مجيء زيد جاء عمرو.

هنا: (**صلّى فصلّى رسول الله صلّى الله عليه وسلم**)، الفاء تفيد كما قلت لكم الترتيب بتعقيب.

معنى هذا ، يفهم منه ماذا؟

أن جبريل عليه السلام صلّى.

بعد ذلك، بعد أن صلى جبريل صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

بتراخ؟

لا، من غير تراخ.

لكن هذا الفهم الذي تفيده الفاء مشكل، يعارض لنا ما رواه الشيخان: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**نزل جبريل فأمّني فصليت معه**».

إذن هما يصليان معا، ولم ينته، لم يصل جبريل منفردا، فلما انتهى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك.

لا.

فكيف نفعل؟

يعني هنا، منع بعض العلماء أن تكون الفاء على بابها.

لماذا؟

لئلا تتعارض النصوص.

فقالوا: الفاء هنا بمعنى مع.

فصلى النبي صلى الله عليه وسلم، يعني: صلى مع جبريل.

لماذا قالوا هذا؟

ليتفق هذا مع الحديث الذي ذكرت لكم.

هذا يُشكل عليه.

هذا جميل لولا أنه يُشكِل عليه شيء.

ما الشيء الذي يُشكِل عليه؟

أن المتكلمين على حروف المعاني.

عندنا بعض العلماء صنّفوا كتبا فيها الكلام على حروف المعاني، هذا الحرف ما المعاني التي يأتي لأجلها في لغة العرب؟ يأتي لهذا المعنى، ويأتي لهذا المعنى... والدليل على هذا قول الشاعر، قول الله، قول النبي. إلى آخره.

المتكلّمون على حروف المعاني لم يذكروا إتيان الفاء بمعنى مع، أنا ما وجدت هذا.

إذن لا يمكن أن نُحمّل حرف الفاء معنى لم يُذكر.

فلذلك نقول: الفاء على بابها، ترتيب بتعقيب، لكن لا يفهم من هذا أن جبريل عليه السلام، صلى صلاة كاملة فصلى بعده رسول الله صلّى الله عليه وسلم.

إنما نقول: صلّيا معا، وجبريل إمام كما جاء في الصحيحين، لكن كلّما فعل جبريل فعلا من أفعال الصّلاة فعله بعده النّبيّ صلّى الله عليه وسلم، كبّر جبريل، كبّر رسول الله صلّى الله عليه وسلم بعده، فتكون الفاء على بابها.

ركع جبريل ركع رسول الله صلى الله عليه وسلم، قام جبريل. وهكذا[1].

وهذا شأن الإمام مع من يأتم به، أن لا يتقدمه، بل يتأخر عنه.

بعض العلماء يقول هنا: فإذا تقدم المأموم على إمامه، ماذا يكون؟

النبي صلى الله عليه وسلم قال في الحديث الصحيح: «**إنما جُعل الإمام ليُؤتم به**»، فشأن الإمام أن يُؤتم به، أي: يُؤتى بأفعال الصلاة بعد أن يأتي هو بها، فإذا تقدمه المأموم؟

هذا التقدم يكون على ضربين:

إمّا أن يتقدّمه في الإحرام وفي التسليم، هذا الضرب الأول.

أو يتقدمه في غير ذلك من أفعال الصلاة.

نحن نتكلم الآن عن التقدم العمد، ولا نتكلم عن التقدم سهوا.

إذا تقدّمه عمدا في الإحرام أو في التسليم بطَلت صلاته بالإجماع.

وإذا تقدّمه في غير ذلك من الأفعال، ركع هو قبل أن يركع الإمام، رفع من الركوع قبل أن يرفع الإمام، أو نحو ذلك، فهذا مسيء وفعله لا يجوز، ممنوع هذا الفعل، ولكنّ صلاتَه لا تبطل.

ولماذا قلنا: هذا الفعل ممنوع، وهو شنيع هذا الفعل منه؟

لما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**ألا يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحوّل الله رأسه رأس حمار**».

وهذا تهديد، هذا وعيد لا يكون للشيء السهل للشيء المكروه، لا يكون إلا على محرّم، لكن مع ذلك لا تبطل الصلاة على من فعله.

نعم.

ثُمَّ صَلَّى فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ صَلَّى فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ صَلَّى فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ صَلَّى فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هذا ظاهر.

فصلى أي الظهر، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم صلى، أي العصر، وهكذا.

إذا عددت تجد أن هذه الجملة ذكرت خمس مرات، فهي الصلوات الخمس.

1 ـ فائدة: الذين صلى خلفهم النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة: جبريل لما علّمه أوقات الصلاة، وأبو بكر في مرض وفاته صلى الله عليه وسلم، وعبد الرحمن بن عوف في غزوة تبوك حين خاف الناس خروج الوقت ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم بسبب ذهابه لحاجته.

نعم.

ثُمَّ قَالَ: بِهَذَا أُمِرْت.

قال جبريل ـ عليه السلام ـ بعد ذلك: بهذا أمِرت.

إذا أردنا أن نحرّك التاء ماذا نقول؟

بهذا أُمرتَ، أو بهذا أُمِرتُ؟

روايتان.

كلاهما ورد بهما الحديث.

بهذا أُمرتَ يا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بهذا أُمرتَ أن تصلي. يعني: بهذه الصلوات أُمرتَ.

فهذه هي التي تصليها أنت وأمتك ـ خمس ـ كل يوم وليلة.

هذا وجه من أوجه المعنى.

أو: بهذا أُمرتِ، بالأمس، مجملا، فهذا تفصيله وبيانه.

أو: بهذا أُمرتُ أنا، أي هذا الذي أُمرتُ به أن أُبلّغكه وأن أبينه لك.

قال بعض العلماء: إذا قيل: بهذا أُمرتُ، بتاء المتكلم يُشكل عليه أن الملائكة ليست مكلفة بالصلاة، فكيف يقال: بهذا أُمرتُ؟ يكون مأمورا بالصلاة، الملائكة ليست مكلفة بالصلاة؟

نقول: الملائكة ليست مكلفة بالصلاة، وقوله: (**بهذا أُمرتُ**)، لا يدل على تكليفها بها، إنما كُلّف جبريل بأن يبين الصلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتكليفه ببيانها، ببيان صفتها وهيئتها وأوقاتها ليس تكليفا بها.

نعم.

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: اعْلَمْ مَا تُحَدِّثُ بِهِ يَا عُرْوَةُ.

عمر بن عبد العزيز الآن يقول له عروة بن الزبير: إن جبريل هو الذي بيّن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوقات الصلوات.

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: اعْلَمْ مَا تُحَدِّثُ بِهِ يَا عُرْوَةُ.

يعني: تثبّت فيما تقول.

كما سيأتي:

أَوَ إِنَّ جِبْرِيلَ هُوَ الَّذِي أَقَامَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقْتَ الصَّلَاةِ؟

وكيف يُجهل مثل هذا؟ لو كان، ما جهلته أنا عمر بن عبد العزيز، اعلم ما تُحدّث به يا عروة.

قالوا: هذا ليس إنكارا على عروة ولا اتهاما له، لأن عروة فوق الاتهام، هو أحد الفقهاء السبعة.

لكنّه طلبٌ للتثبّت.

نعم.

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: اعْلَمْ مَا تُحَدِّثُ بِهِ يَا عُرْوَةُ، أَوَ إِنَّ جِبْرِيلَ[1] هُوَ الَّذِي أَقَامَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقْتَ الصَّلَاةِ؟

يعني: أو إنّ جبريل هو الذي حدّد لرسول الله صلى اله عليه وسلم أوقات الصلوات؟

نعم.

---

1 ـ "أَو إِن جِبْرِيل" [الْوَجْه] كسر إِن هَاهُنَا لِأَنَّهُ مَوضِع يصلح فِيهِ الِاسْم وَالْفِعْل، أَلا ترى أَنه قد كَانَ يجوز لَهُ أَن يَقُول: "أَوَ جِبْرِيل هُوَ الَّذِي أَقَامَ"، وَكَانَ يجوز أَن يَقُول: "أَو أَقَامَ جِبْرِيل" وكل مَوضِع يصلح فِيهِ اسْتِعْمَال الِاسْم تَارَة وَالْفِعْل تَارَة، فـ"إِنّ" فِيهِ مَكْسُورَة، فَإِذا انْفَرد الْموضع بِأَحَدِهِمَا فـ"أَنّ" فِيهِ مَفْتُوحَة، كَقَوْلِك: بَلغنِي أَنَّك قَائِم. فَهَذَا مَوضِع لَا يصلح فِيهِ إِلَّا الِاسْم كَأَنَّهُ قَالَ: بَلغنِي قيامك. وقولك: "لَو أَن زيدا جَاءَنِي لأكرمته"، فَهَذَا مَوضِع لَا يصلح فِيهِ إِلَّا الْفِعْل. مشكلات موطأ مالك بن أنس (ص: 35، 36)

قَالَ عُرْوَةُ: كَذَلِكَ كَانَ بَشِيرُ بْنُ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيُّ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ.

يعني: عمر بن عبد العزيز ـ رحمة الله عليه ـ يستبعد أن يكون هذا من شؤون الدين ، بل من شؤون الصلاة التي هي رأس أمور الدين بعد الشهادتين ويجهله عمر بن عبد العزيز؟ وهو من هو في اجتهاده في طلب العلم وكونه إماما من أئمة المسلمين.

فلذلك أنكر عليه، يعني، هذه الجملة التي ظاهرها الإنكار:

اعْلَمْ مَا تُحَدِّثُ بِهِ يَا عُرْوَةُ.

قَالَ عُرْوَةُ: كَذَلِكَ كَانَ بَشِيرُ بْنُ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيُّ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ.

أسند عروة ما كان أرسله.

الذي يقص الحديث أولا، الذي يذكر هذه القصة ابتداء هو عروة.

عروة لم يدركها، عروة من التابعين، لم يدركها.

كيف عرف أن جبريل نزل فأمّ برسول الله صلى الله عليه وسلم. هذا الحديث المذكور؟

كيف عرف وهو لم يدركه؟

فلذلك قال بعد أن طلب منه عمر إبراز حجته، بيّن إسناده إلى القصة.

وهذا شيء ينبغي أن يُتأسى به في الأمور الغيبية.

يقول واحد من الناس ـ مثلا ـ شيئا غيبيا، الأشياء الغيبية هذه لا تُتلقى إلا بالوحي، لا طريق إلى معرفتها إلا بالوحي، لا تُدرك بقياس، ولا تُدرك بعقل، فكيف تُدرك؟

لا تُدرك إلا بالوحي.

فمن حدّث بشيء غيبي يجب أن يُبرِز طريق معرفته به.

وهذا الذي فعله عمر بن عبد العزيز.

قال المحدّثون: هذا فيه دليل على أن الحجة في المسند لا في المرسل.

قَالَ عُرْوَةُ: كَذَلِكَ كَانَ بَشِيرُ بْنُ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيُّ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ.

وبشير هذا ابن أبي مسعود الأنصاريُّ، أحد جِلّة التابعين، جزم البخاري ومسلم وأبو حاتم والعِجْلي وغيرهم أنه تابعي.

وذكره ابن عبد البر في الصحابة لأنه عند ابن عبد البر وُلد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ورآه، فهو عنده من صغار الصحابة.

وكذلك ذكره ابن حجر في الإصابة.

ومات ـ رحمه الله ـ سنة ثلاث وستين (63هـ) مقتولا، في وقعة الحرّة الشهيرة، سنحدّثكم عنها ـ إن شاء الله ـ في مجلس قادم.

قَالَ عُرْوَةُ: كَذَلِكَ كَانَ بَشِيرُ بْنُ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيُّ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ.

وهنا سؤال: كيف جاز لعمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ وهو من هو اجتهادا في طلب العلم، وهو إمام من أئمة المسلمين، كيف جاز عليه الجهل بمعرفة أوقات الصلاة؟

والجهل بأوقات الصلاة لا يسع أحدا.

فهذا سؤال.

لكن قالوا في الجواب عنه: إن عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ لم يكن جاهلا بأوقات الصلاة، إنما كان جاهلا بقصة مشروعيتها، بالسبب الموجب لأوقات الصلاة، فقد كان

عنده ـ مثلا ـ أن أوقات الصلاة، كانت بتوقيف النبي صلى الله عليه وسلم، لا من جبريل، ولذلك قال له: أو إن جبريل هو الذي أقام لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوقات الصلاة؟

قالوا: هذا لم يكن جهلا بأوقات الصلاة، وإنما كان جهلا بالسبب الموجب لها.

نعم.

قَالَ عُرْوَةُ: وَلَقَدْ حَدَّثَتْنِي عَائِشَةُ زَوْجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي الْعَصْرَ وَالشَّمْسُ فِي حُجْرَتِهَا قَبْلَ أَنْ تَظْهَرَ.

قال عروة: ولقد حدّثتني عائشة، عائشة بنت أبي بكر الصِّدّيقة بنت الصِّدّيق، أم المؤمنين الفقيهة العابدة الربانية، أحبّ خلق الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبنت أحب خلقهم إليه.

روى الترمذي وابن حِبّان عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه قال: **يا رسول الله، من أحبّ الناس إليك؟ قال: عائشة، قال: من الرجال؟ قال: أبوها.**

كانت رضي الله عنها فقيهة، كثيرة الفقه، من المكثرات من الحديث.

المكثرون من الحديث من الصحابة سبع مذكورون في قول القائل:

سبع من الصحب فوق الألف قد ذَكَروا
قد نقلوا من الحديث عن المختار خيرِ مُضر
أبو هريرة سعدٌ جابرٌ أنس
صدّيقة وابن عبّاس كذا ابن عمر

أبو هريرة، سعد، هذا سعد بن مالك بنِ سنان، أبو سعيد الخدري.

أبو هريرة، سعد، جابر، أنس، صدّيقة، وابن عباس، كذا ابن عمر.

تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة بسنة، وهي بنت ست سنين، ودخل بها بعد الهجرة، سنة اثنين من الهجرة، وهي بنت تسع سنين، ومات عنها وهي بنت ثمان عشرة سنة، وكان ابتنى بها في شوال، ونكحها في شوال، فلذلك كانت تحب أن تُدخل النساء على أزواجهن في شوال، وكانت تقول: هل في نسائه أحظى مني وقد نكحني وابتنى بي في شوال؟

وقصة ذلك ما رواه أحمد والبيهقي وغيرهما عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: لما هلكت خديجة جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، هل تزوّج؟ يعني: هل تتزوج؟ بحذف إحدى التاءين في المضارع.

قال: من؟

قالت: إن شئت بِكرا وإن شئت ثيّبا.

قال: فمن البِكر؟

قالت: بنت أحب خلق الله ـ عز وجل ـ إليك، عائشة بنت أبي بكر.

قال: فمن الثيّب؟

قالت: سَودة بنتُ زَمعة، قد آمنت بك، واتبعتك على ما تقول.

قال: فاذكريهما عليّ.

فذهبت خولة إلى بيت أبي بكر فوجدت أمَّ رومان، أم عائشة ـ رضي الله عنها ـ فقالت: يا أم رومان، ماذا أدخل الله ـ عز وجل ـ عليكم من الخير والبركة.

قالت: وما ذاك؟

قالت: أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطب عليه عائشة.

فقالت أم رومان: انتظري حتى يأتي أبو بكر.

فلما جاء أبو بكر قالت خولة: يا أبا بكر ماذا أدخل الله ـ عز وجل ـ عليكم من الخير والبركة.

قال: وما ذاك؟

قالت: أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطب عليه عائشة.

فقال أبو بكر: وهل تصلح له؟ وإنما هي ابنة أخيه.

فرجعت خولة، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: ارجعي إليه فقولي له: أنا أخوك في الإسلام وأنت أخي وابنتك تصلح لي.

فرجعت خولة فذكرت ذلك له. فقال لها أبو بكر: انتظري. وخرج.

فقالت أم رومان ـ زوجته ـ: إنّ جُبير بن مُطعِم كان قد ذكرها على ابنه، ولا والله ما وعد عِدة قط فأخلفها، تقصد أبا بكر.

فدخل أبو بكر على الرجل فوجد زوجته عنده، أم الفتى، فقالت له: يا أبا بكر، لعلك مُصبئ صاحبنا، مُدخله في دينك هذا الذي أنت عليه إن تزوج إليك؟

فالتفت أبو بكر إلى الرجل فقال له: أقولَ هذه تقول؟

فقال له: إنها تقول ذلك، كالمزكي لقولها.

فخرج أبو بكر وقد أذهب الله ما كان في نفسه من عِدته التي كان وعده، وقال لخولة: ادعي لي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فدعاه فزوجها إياه.

وكانت ـ رضي الله عنها ـ عالمة واسعة العلم، كثيرة الرواية.

قال عروة بن الزبير ـ وهو ابن أخيها، وكان من ألزم الناس لها وألصقهم بها ـ: ما رأيت أحدا قط أعلم بشِعر ولا بفقه ولا بطب من عائشة.

وقال الزهري: لو جُمع علم عائشة إلى علم أمهات المؤمنين وعلم النساء لكان علم عائشة أفضل.

وكانت مع ذلك ـ رضي الله عنها ـ زاهدة عابدة.

روى ابن سعد في طبقاته عن أم ذرّة قالت: أُتيت عائشة بمائة ألف ففرّقتها، وهي يومئذ صائمة، فقالت لها أم ذَرّة هذه: أما استطعت فيما فرّقتِ أن تشتري بدرهم لحما تُفطرين عليه؟

فقالت لها عائشة ـ رضي الله عنها ـ: لو ذكّرتِيني لفعلت.

ولّما اشتكت مرضا الذي ماتت فيه، دخل عليها ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فقال: يا م المؤمنين، تَقْدَمين على فَرَط صِدق، على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أبي بكر.

وماتت ـ رضي الله عنها ـ في مرضها ذاك سنة سبع وخمسين (57هـ)، وقيل سنة ثمان وخمسين، وهي ابنة خمس وستين سنة.

وفيها يقول حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ:

حَصَانٌ رزانٌ[1] ما تُزَنُّ[2] بريبةٍ

وتُصْبِحُ غَرْثَى[3] من لحومِ الغَوَافِلِ[4]

عقيلةُ[5] حيٍّ من لؤيّ بنِ غالبٍ

كرامِ المَساعي، مجدها غيرُ زائلِ

مهذبةٌ قدْ طيّبَ اللهُ خِيمها[6]

وطهرها من كلّ سوءٍ وباطلِ

فإن كان ما قد قيل عني قلتُه[7]

فَلا رَفَعَتْ سَوْطي إليّ أناملِي

فكَيْفَ وَوُدّي ما حَيِيتُ ونُصرَتي

لآلِ رسول الله زينِ المحافلِ

رأيتكِ، وليغفرِ لكِ اللهُ، حرةٌ

مَنَ المُحصنَاتِ غيرِ ذاتِ الغَوَائِلِ[8]

وقول عروة: (ولقد حدّثتني عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم).

اختُلف في أزواجه ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمُجمع عليه إحدى عشْرة امرأة، مجموعة أسماؤهنّ في هذا البيت الذي كلّ كلمة منه تشير إلى الحرف الأول من أسماء أمهات المؤمنين، وقد نظم صاحب هذا البيت أسماء أمهات المؤمنين على الترتيب الذي تزوجهن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال:

خَليلي سبا عقْلي حُلا زينِ هالةٍ

زها جفنَها رمزا صحيحا مُهذّبا

يشير بقوله: (خليلي) إلى خديجة بنت خويل.

و يشير بقوله: (سبا) إلى سودة بنت زَمعة.

(عقلي) عائشة بنت أبي بكر.

(حُلا) حفصة بنت عمر.

(زَيْن) زينب بنت خُزيمة.

(هالة) هند بنت أبي أمية، وهي أم سلمة.

(زها) زينب بنت جحش.

(جفنها) جويرية بنت الحارث المُصطلِقية.

(رمزا) رملة بنت أبي سفيان.

(صحيحا) صفية بنت حُيي بن أخطب.

(مهذّبا) ميمونة بنت الحارث الهلالية.

وقد مات في حياته صلى الله عليه وسلم ثنتان، وهما: خديجة بنت خويلد، وزينب بنت خزيمة، ومات صلى الله عليه وسلم عن سائرهن.

وقول عروة: (ولقد حدّثتني عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم) قوله: (زوج) هذه هي اللغة العالية، اللغة الفصيحة، التي جاء بها القرآن.

زوج، لا زوجة، بغير هاء التأنيث. قال ربنا سبحانه:

{وَإِنۡ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ مَّكَانَ زَوۡجٖ}[9].

---

1 ـ العفيفة ذات الثبات والوقار.

2 ـ تزن : تُتهم.

3 ـ غرثى : جائعة.

4 ـ الغوافل : مفردها غافلة ، وهي التي لا ترتع في اعراض الناس.

5 ـ العقيلة : السيدة الكريمة.

6 ـ الخيم : الأصل.

7 ـ يقصد حديثَ الإفك.

8 ـ الغوائل: جمع غائلة وهو الشر والفساد.

9 ـ النساء: 20

وقال ربنا: {وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ}[1].

وقال ربنا سبحانه: {وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ}[2].

فهذه هي اللغة العالية الفصيحة.

بعض أهل اللغة يرى أن (زوجة) هذا لحن، هذا غلط، لا تقوله العرب.

هذا الأصمعي ـ مثلا ـ يقول: لا تكاد العرب تقول: (زوجة)، إنما العرب تقول: (زوج).

ومن أين أتت (زوجة) هذه؟

قال: (زوجة) هذه من تسامح الفقهاء، قالوا: (زوجة) لينفوا الالتباس في تقرير الأحكام الشرعية، مثلا: لو لم تقل الفقهاء (زوجة) وتركوا الكلمة كما تكلم بها العرب، يقولون مثلا، أصحاب الفرائض يقولون: فريضة فيها زوج وابن، فلا يدرى، هل الزوج الذكر أم الزوج الأنثى؟

فلذلك قال الأصمعي: إن ذلك من تسامح الفقهاء، لإزالة هذا الالتباس.

ولم يُسلم للأصمعي ـ رحمه الله ـ هذا الذي قاله، وإن تبعه فيه بعضهم، لم يُسلّم له.

فنقل الفرّاء وأبو حاتم أن العرب تقول (زوجة)، وذكر ذلك ابن السّكّيت في إصلاح المنطق، وذكره ابن قتيبة في أدب الكتّاب.

1 ـ الأحزاب: 37

2 ـ البقرة: 35

جميعا قالوا: العرب تقول: (زوجة) بهاء، الأفصح (زوج) بغير هاء، لكنّ (زوجة) ليس غلطا، وليس أصلُه تسامحَ الفقهاء.

واستدلوا على ذلك بما رواه البخاري عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: إني لأعلم أنها زوجته في الدنيا والآخرة.

يقصد عائشة رضي الله عنها.

فقال: زوجته، ولم يقل: زوجه.

واستدلوا على ذلك أيضا بما رواه مسلم في الصحيح عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مع إحدى نسائه، فمر به رجل، فدعاه وقال: يا فلان، هذه زوجتي فلانة.

لكن بعضهم، كثير من النحاة لا يحتجون بالحديث لأسباب ليس هذا موضعَها، وإن كنا نرى أن الراجح الاحتجاج بالحديث وهو رأيُ ابن مالك.

ومع ذلك فقد صح عن العرب المحتجِّ بلغتهم هذا اللفظ، أعني (زوجة)، ومن ذلك قول الفرزدق:

وإن الذي يسعى يُحَبِّب زوجتي
كساع إلى أُسْد الشَّرى يستبيلها

وإن الذي يسعى يُحَبِّب: يفسد زوجتي.

كساع إلى أُسْد الشَّرى: إلى أُسْد الغابة.

يستبيلها: يأخذ أكرمكم الله بولها.

فقال: (زوجتي) ولم يقل: (زوجي)، فظهر بذلك أن (زوجة) كلمة فصيحة وإن كان الأفصحُ لغةَ القرآن.

وهذا البيت الذي ذكرت لكم له قصة طريفة:

ذلك أن النَّوَار بنتَ أَعْيَنَ بنِ ضُبَيْعَة كانت بنت عم الفرزدق، فجاءها رجل من بني دارِم، وبنو دارِم هم رهط الفرزدق، جاءها رجل منهم فخطبها فقبلت، فبعثت إلى الفرزدق وقالت له: زوجني من فلان، وإنما قالت ذلك له لأنه كان وليَّها.

فقال لها: لا أفعل حتى تُشهدي الناس أنكِ تقبلين من أُزوّجه منك.

ففعلت.

فلما توثّق منها قال لها: ابعثي إلى القوم فليأتوا.

فبعثت إليهم، فلما غصّ المسجد بالناس، قام الفرزدق فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: لقد علمتم أن النوار جعلت إلي أمرها ورضيت من أزوجها منه، فإني أُشهِدكم أنني أزوجها من نفسي.

فنفرت وأنِفت وغضِبت، وذهبت إلى أمير البصرة، فلم يستطع أن يفرق بينها وبينه، خوفا من لسانه وهِجائه، وأعياها الشهود أيضا، فلم يقدِروا أن يشهدوا لها.

فأرادت أن تذهب إلى عبد الله بن الزبير وكان حينئذ خليفةَ المسلمين وكان في مكة، فلم يقدِر أحد أن يحمِلها إليه، كلهم يتحامون لسان الفرزدق.

فكان امرأةً صالحة، فمكثت معه على ذلك وكان تقول له: إنما تزوجت على خدعة، فكانت لذلك تجتنب فراشه.

ثم إن قوما اسمهم بنو النُّسَيْر، تحمّلوها إلى مكة، إلى عبد الله بن الزبير.

فقال الفرزدق في ذلك:

لعمري لقد أردى النّوارَ وساقها
إلى الغَوْر أقوام خِفافٌ عقولُها

أطاعت بني أمّ النسير فأصبحت
على قَتَب يعلو الفلاةَ دليلُها

وإنّ امرَأً يسعى يُخَبِّب زوجتي
كساع إلى أُسْد الشَّرى يستبيلها

من يقدر على جمع بول ـ أكرمكم الله ـ بول الأسود؟

من يقدر على هذا؟

فقال:

وإنّ الذي يسعى يُخَبِّب زوجتي
كساع إلى أُسْد الشَّرى يستبيلها

ومن دون أبوال الأسود بسالة
وبسطة أيد يمنع الضيم طولها

وإن أمير المؤمنين لعالم
بتأويل ما وصّى العبادَ رسولُها

أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير عالم بتأويل، يعني بها أمر رسول الله العباد من طاعة الزوجات لأزواجهم.

فذهبت النوار إلى عبد الله بن الزبير قالوا: لما دخلت عليه وحدّثته، يقال: غنه قال لها: إن شئت طلّقتك منه، وقتلته حتى لا يهجونا أبدا، وإن شئت بعثت به إلى أرض العدو.

فقالت: لا ريد واحدة منها.

فقال لها: فإنه ابن عمّك وهو يريدك فأزوجك منه.

فقالت: نعم.

فزوجها، فكان الفرزدق يقول: دخلنا متباغضين وخرجنا متحابّين.

نعم.

قَالَ عُرْوَةُ: وَلَقَدْ حَدَّثَتْنِي عَائِشَةُ زَوْجُ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي الْعَصْرَ وَالشَّمْسُ فِي حُجْرَتِهَا قَبْلَ أَنْ تَظْهَرَ.

(الشمس في حجرتها) الحُجرة: الدار، وكل بناء أحاط به جدار تسميه العرب حُجرة.

وذلك مشتق من الحَجر، الذي هو المنع، يقولون ـ مثلا ـ: حجر القاضي على السفيه أو على المفلس، إذا منعه من التصرف في ماله.

ومنه العقل، سمي حِجْرا لأنه يحجُر صاحبه ويمنعه عن تعاطي مما لا ينبغي.

ومنه قول الله تعالى: {هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ}[1] أي: لذي عقل.

والعرب تُطلق الحِجْر على الحرام، لأنه ممنوع منه، ومن ذلك أيضا قول ربنا سبحانه: {وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ}[2] أي: ممنوعة. ممنوعة.

وسميت الحجرة بذلك لأنها تمنع من دخلها من أن يوصل إليه ومن أن يُرى.

(قبل أن تظهر): كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي العصر والشمس في حُجرتها قبل أن تظهر، أي: قبل أن تعلو.

قبل أن تظهر الشمس: قبل أن تعلو على ظهر الحجرة.

و(ظَهر) بمعنى (علا) هذا موجود في كلام العرب.

منه قول ربنا سبحانه: {وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ}[3] عليها يعلون.

ومنه أيضا قول ربنا سبحانه: {فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ} أي يعلوه. {وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا}[4].

ومن ذلك أيضا: قول النابغةِ الجعدي ـ رضي الله عنه ـ:

بلغنـــا السَّـــما مجـــدا وجـــودا وســـؤددا
وإنـــا لنبغـــي فـــوق ذلـــك مَظْهَـــرا

فوق السماء مَظهرا، أي: مُعتلى، وعُلُوًا.

وهذا البيت للنابغة من قصيدة قالها يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول في مطلعها:

خلـــيليّ عُوجـــا ســـاعَةً، وَتهَجَّـــرا
ولُومـــا عـــلى مـــا أَحْـــدثَ الـــدهرُ، أَوْ ذَرَا
ولا تجْزَعـــا إنّ الحيـــاةَ ذَميمـــةٌ
فَخِفّـــا لِرَوْعـــاتِ الحـــوادثِ، أو قـــرا
وإنْ جـــاءَ أَمْـــرٌ لا تُطيقـــان دَفْعَـــهُ
فَـــلاَ تجْزَعـــا ممّـــا قضىَـــ اللهُّ، وَاصْـــبِرا
أَلمْ تَرَيـــا أَنّ المَلامَـــةَ نَفْعُهـــا
قَليـــلٌ، إذا مـــا الشيْـــءُ وَلّى وَأَدْبَـــرا
تُهـــيجُ البُكَـــاءَ والنّدَامَـــةَ ثُـــمّ لا

1 ـ الفجر: 5
2 ـ الأنعام: 138
3 ـ الزخرف: 33
4 ـ الكهف: 97

تُغـيِّر شَـيئاً، غَـيْرَ مـا كـان قُـدِّرا

أَتَيْــتُ رَسُــولَ اللهِ[1]، إذ جــاءَ بِالهُــدى

وَيَتْلُــو كِتابــاً كــالمجرَّةِ نــيِّرا

يقول فيها:

ونُنْكِــرُ يــومَ الـرَّوْعِ أَلْــوانَ خَيْلِنــا

مِـن الطَّعْـنِ حتَّـى نَحْسِـبَ الجَـوْنَ أَشْـقَر

وَنَحْــنُ أُنــاسٌ لاَ نُعَــوِّدُ خَيْلَنــا

إذا مــا التقينــا، أن تَحِيــدَ وَتَنفُــرا

ومــا كــانَ معتــادا لَنَــا أَنْ نَرُدَّهَــا

صِــحاحاً، ولا مُسْــتَنْكَراً أن تُعقَّــرا

ومن هذه القصيدة أبيات صارت أمثالا، من ذلك قولُه:

ولا خَــيْرَ في جَهْــلٍ إذا لمْ يَكُــن لــهُ

حلــيم إِذا مــا أَوْرَدَ الأَمْــرَ أَصْــدَرا

ولا خَــيْرَ في حِلْــمٍ إذا لمْ تَكُــنْ لــهُ

بَــوادِرُ تَحْمِــي صَــفْوهُ أَنْ يُكَــدَّرا

ففــي الحِلـمِ خــيرٌ مــن أمــور كثــيرة

وفي الجهــل أحيانــا إذا مــا تعــذَّرا

أو يكون قول عائشة ـ رضي الله عنها ـ **(أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي العصر والشمس في حجرتها قبل أن تظهر)** قبل أن تذهب، أي: قبل أن يذهب ظل الشمس من حجرتها.

وإطلاق (ظهَر) على (ذهب) أيضا معروف عند العرب، ومن ذلك قول أبي ذُؤيب الهُذلي:

1 ـ صلى الله عليه وسلم.

وعيَّرهــا الواشــون أَني أُحبُّهــا

وتلــك شَــكاةٌ ظــاهِرٌ عنــكِ عارُهــا

أي: ذاهب عنكِ عارها.

معنى الحديث: التعجيل بصلاة العصر، أن تُصلى العصر في أوّل وقتها، وهذا الذي احتج به عروة بن الزبير على عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ.

لما أخّر الصلاة فأخبره أن عائشة كانت تقول له: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي العصر والشمس في حجرتها قبل أن تظهر، يعني في أول الوقت[2].

هذا الحديث رواه الأئمة عن مالك.

رواه البخاري عن عبد الله بن مسلمة القعنبي عن مالك.

ورواه مسلم عن يحيى بن يحيى التميمي النيسابوري عن مالك بهذا الإسناد.

2 ـ هذا الحديث يرد رواية أبي الجوزاء أوس بن عبد الله قال: قحط أهل المدينة قحطا قحطا شديدا فشكوا إلى عائشة فقالت: أنظروا قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه كوة إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف، قال: ففعلوا فمطرنا مطرا حتى نبت العشب، وسمنت الابل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق).

لأنه في مدة حياة عائشة لم يكن للبيت كوة بل كان بعضه باقيا كما كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم بعضه مسقوف وبعضه مكشوف وكانت الشمس تنزل فيه كما ثبت في الصحيحين عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي العصر والشمس في حجرتها لم يظهر الفيء بعد).

وحديث الكوة هذا لا يصح، أخرجه أخرجه الدارمي في سننه (1 / 43 - 44) وفيه أبو النعمان وهو محمد بن الفضل المعروف بعارم وقد كان اختلط في آخر عمره كما قال العقيلي وغيره من أهل الحديث. انظر هامش أحكام الجنائز (ص: 267)